

قبائل اليهود وأماكن استقرارها في الحجاز في صدر الإسلام

الباحث/ فيصل محمد العلي (*)

إشراف :

أ.د. فتحي عبد الفتاح أبو سيف

— تاريخ اليهود في الحجاز :

يمكن القول أن تاريخ الوجود اليهودي في الجزيرة العربية وفي شمال الحجاز بالذات ، تاريخ يغشاه ضباب الأساطير ، ومسألة الخوض في تفاصيله مسألة بالغة التعقيد ، فهناك احتمالان حام حولهما المؤرخون الذين كتبوا في هذا الأمر ، فهل اليهود وافدون على الجزيرة العربية من خارجها أم هم من أهلها أصلاً ، وقد تعددت الآراء وتنوعت حول أحد هذين الاحتمالين ، ومن الروايات التي تثبت الاحتمال الأول — أن اليهود وافدون على الجزيرة العربية من خارجها — مايلي :

الرواية الأولى : هذه الرواية أقرب للقصة منه إلى الحقيقة والتي تنص على أن صلة اليهود بالمدينة ترجع إلى عهد موسى بن عمران عليه السلام ، وهم — أصحاب هذه الرواية — يرجعون أسباب هذه الصلة إلى

(*) طالب دكتوراه بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة عين شمس .

عوامل سياسية ودينية أحياناً ، فمن العوامل السياسية استفحال أمر العماليق^(١) (سكان يثرب) وتعدد غاراتهم على بني إسرائيل في الشام مما جعلهم يضجون بالشكوى إلى موسى عليه السلام ، فوجه إليهم جيشاً وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحداً ، ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلاماً حسناً - يقال للملك الأرقم بن أبي الأرقم^(٢) - ثم رجعوا إلى الشام وفي هذه الأثناء كان قد توفي موسى عليه السلام ، فقالت بنو إسرائيل لهم : " قد عصيتكم وخالفتم فلا نؤويكم " . فقالوا : " نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها " . فرجعوا إلى يثرب فاستوطنوها وتنازلوا بها^(٣) . أما من أرجع تلك الصلة إلى العامل الديني فيذكر أن موسى عليه السلام لما حج كان معه أناس من بني إسرائيل فلما أتوا على المدينة قرأوا في موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة ، فأستورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع واستقروا هناك^(٤) .

الرواية الثانية : وهي التي تربط وجود اليهود في جزيرة العرب بهجوم نبوخذ نصر^(٥) على مملكة يهودا في عام ٥٨٦ قبل الميلاد ، ففي هذا الحدث التاريخي ، نزح عدد كبير من اليهود إلى الجزيرة العربية حتى لا

١ - نسبة إلى عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . (ابن سعد ، الطبقات ، دار صادر ، بيروت ، ج ١ ، ص ٤٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٧) .

٢ - في بعض المصادر يذكر باسم الإرم بن الأرقم . (ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، مراجعة الدكتور سهيل زكار ، ووضع حواشيه خليل شحاته ، (د.ط) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، ص ١٠٠) .

٣ - ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ، ص ٢١٦ ، عبدالله عبد العزيز بن إدريس ، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ ، ط ١ ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٣- ٣٤ .

٤ - الصالحي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، حسن كاظم الحسيني العاملي ، يهود الجزيرة العربية ، ط ١ ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ٥١- ٥٢ ، عبدالله عبد العزيز بن إدريس ، المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

٥ - نبوخذ نصر : هو نبوخذ نصر أو بخت نصر بن سبي بن نبت بن حودرز ، استمر ملكه ٤٥ سنة (٦٠٥ ق.م حتى ٥٦٠ ق.م) . (اليقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ٨٢ ، السمعاني ، الأنساب ، تحقيق عبد الله البارودي ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ج ٥ ، ص ٣٦٣) .

يقعوا في أسر البابليين الذين نفوا الآلاف من اليهود إلى بابل^(١) فيما سمي بالنفي البابلي ، وتستطرد الرواية الحديث بأن هؤلاء اليهود نزلوا في نواحي الحجاز في وادي القرى وتيماء وخيبر ويثرب وكان في هذه الأماكن قوم من جرهم^(٢) ، وهذا ما رجحه البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ^(٣) : " لما هدم بختنصر بيت المقدس وأجلى من أجلى وسبى من سبى من بني إسرائيل لحق قوم منهم بناحية الحجاز فنزلوا وادي القرى وتيماء ويثرب وكان بيثرب قوم من جرهم " .

الرواية الثالثة : تذكر أن نزوح اليهود إلى الحجاز قد حدث مرتين :

الأولى : في عام ٧٠م عندما شن طيطوس بن أسفسيانوس الروماني حرباً على اليهود في فلسطين ، فاقتحم أورشليم ودمرها ، فنزح عدد كبير منهم إلى مصر والقيروان والحجاز^(٤) .

الثانية : في عام ١٣٢م في عهد هادريان الذي نكل باليهود تنكيلاً شديداً ، مما دفعهم للنزوح إلى الجزيرة العربية ، ويذكر أن اليهود الذين فروا إلى الحجاز أيام هادريان لم يتوغلوا في العمق — لأنهم لا يعرفون شيئاً عما

١ - بابل : اشتق اسمها من اسم المشتري ، لأن بابل باللسان البابلي الأول اسم للمشتري ، وهي اسم لناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر ، ويقال إن أول من سكنها نوح عليه السلام وهو أول من عمرها ، وكان قد نزلها عقب الطوفان ، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء ، فاتّاموا بها وتناسلوا فيها ، وابتنوا بها المدائن واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كسكر ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة . (البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج ١ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠) .

٢ - جرهم بن عامر بن سبأ بن يقطن (قحطان) بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكان رئيس جرهم مصاص بن عمر بن عبد الله بن جرهم بن قحطان . (ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٥١ ، الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق عصام محمد الحاج علي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص ٤٣ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ٨٥) .

٣ - البلدان وفتحها وأحكامها ، تحقيق أيمن محمد عرفة ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د.ت) ص ٣٣ .

٤ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق خيرى سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، إسرائيل ولنفسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ط ١ ، مكتبة الناظفة ، القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٩ .

يمكن أن يصادفهم هناك — وإنما أخذوا في البداية يستولون على المناطق و الواحات القريبة من الحدود ويستقرون فيها ، ثم أخذوا فيما بعد يتقدمون باتجاه الداخل بأعداد كبيرة ، فلحق الهاربون الجدد بمن سبقهم من إخوانهم الذين كانوا قد بلغوا يثرب ، بعد أن استولوا في طريقهم على فدك وتبوك وخيبر ووادي القرى ... وغيرها ، وكان من اليهود المهاجرين بنو قريظة وبنو النضير وبنو بهدل الذين ساروا إلى الجنوب في اتجاه يثرب ، فلما بلغوا موضع الغابة وجدوه وبية (أو وبتاً أي يوجد به وباء) فكرهوا الإقامة فيه ، وبعثوا رائداً أمره أن يلتمس لهم منزلاً طيباً وأرضاً عذبة ، حتى بلغ العالية وهي (بطحان ومهزور) ، استقر رأيهم على الإقامة فيها ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان ونزلت قريظة وبهدل على مهزور^(١) .

ومن الملاحظ والجدير ذكره هنا ، أن المصادر العربية تناقلت تلك الروايات دون الجزم على أيها الأصح إلا ما كان من البلاذري في ترجيح الرواية الثانية . بالإضافة إلى ذلك أن الرواية التي تقول بأن موسى أمر جيشاً بأن يقتلوا العمالق ولا يبقوا منهم أحداً باستثناء ابن ملكهم الأرقم !! لا تتعارض مع الحقائق التاريخية فحسب وإنما تتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم أيضاً^(٢) ، فالقوم الذين جبنوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم ، هؤلاء القوم ليسوا هم الذين يجتازون صحراء بلاد العرب حتى يصلوا إلى يثرب ، ثم يقوموا فيها بمجزرة بشرية تنتهي بإفناء بلد بأسره ، إلا ابن ملكها الأرقم . !! فضلاً عن ذلك هذه الرواية لا تتسجم مع مكانة موسى عليه السلام نبي الله وكتيمه^(٣) .

١ - الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق علي مهنا وسمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) ، ج ٢٢ ، ص ١١٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، أحمد علي المجذوب ، المستوطنات اليهودية على عهد الرسول ﷺ ، ط ٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ٤٠٠-٣٩٠ .

٢ - سورة المائدة ، الآية ٢١-٢٦ .

٣ - محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، (د.ط) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ٤٣٧-٤٤٠ ،

أما الاحتمال الثاني وهو أن اليهود من أهل الجزيرة العربية أصلاً ، فقد أكدّه اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)^(١) بقوله : أن أشهر قبائل اليهود وهي بنو النضير وبنو قريظة التي استوطنت بيثرب تنتمي إلى قبيلة جذام اليمانية^(٢) التي هاجرت إلى الحجاز ، والتي استقرت — بعد اعتناقها اليهودية — في مدينة يثرب.

وخلاصة القول أنه أمام هذا الاختلاف والتناقض — إن صح التعبير — يبقى الاحتمال الأول الذي يفيد بأن اليهود وافدون على الجزيرة العربية ، وأنهم وافدون عقب الصراع الروماني اليهودي (٧٠م) والذي انتهى بانتصار الرومان على اليهود ، هو الأرجح عند المؤرخين . كما يمكن القول أيضاً أن النسابين العرب لم يذكروا اسم أي قبيلة يهودية سواء في المدينة أو غيرها من أقاليم الحجاز ضمن الأنساب العربية ، واليهود ذاتهم لم يحاولوا نسبة أنفسهم إلى قبائل العرب ، بل حرصوا على نسبة أنفسهم إلى الإسرائيليين ، فقد كان بنو قينقاع يدعون نسبتهم إلى يوسف عليه السلام ، وبنو قريظة وبنو النضير يسمون أنفسهم الكاهنان (نسبة إلى جدهم الكاهن هارون بن عمران أخو موسى بن عمران) . بالإضافة إلى ذلك قيام اليهود ببناء الحصون ليلتجئوا إليها إذا ما ألمّ أو أصابهم مكروه ، مما يدل على أن يهود الحجاز ليسوا عرباً ، إذ لو كانوا كذلك لما احتاجوا إلى تلك الحصون ، ولكانت لهم قبائل يستندون عليها وتتصرهم على أعدائهم^(٣) .

١ - تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٩ - ٥٢ .
٢ - قيل اسم جذام هو عامر ، وقيل جذام هو عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان . (الزبيرى ، نسب قریش ، تحقيق ليفي بروفسال ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ت) ، ص ٩ ، ابن خياط ، الطبقات ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، ط ٢ ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٧٠) .
٣ - ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، أحمد الزغبى ، العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، ط ١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، أحمد علي المجذوب ، المستوطنات اليهودية على عهد الرسول ﷺ ، ص ٥٤ .

— القبائل اليهودية وأماكن استقرارها :

كانت الأماكن التي استقر بها اليهود أخصب مدن الحجاز ، تتوفر فيها الشروط المثلى للإقامة والاستقرار — خصوبة التربة وتوفر المياه والموقع الاستراتيجي الهام — وأكبر هذه التجمعات اليهودية في الحجاز كانت في يثرب ، حيث وصفها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) بقوله^(١): "أنها حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه" . وقد اختلفت الروايات التاريخية حول الأسباب التي دفعت اليهود للنزول في جزيرة العرب — على وجه العموم — واختيارهم يثرب بالذات ، فمن هذه الروايات :

أن النظام القبلي كان يسيطر على الجزيرة العربية ، والذي يمكن لليهود أن يعيشوا في رحابه آمنين ، وخاصة إذا قاموا بالتحالف مع إحدى القبائل العربية ، فضلاً عن ذلك كانت الجزيرة العربية بطبيعتها الصحراوية بعيدة عن متناول أي قوة نظامية ، حيث كانت الرمال تشكل عائقاً بينهما ، وأما اختيارهم ليثرب — بالذات — فيرجع إلى ذكر كتابهم (التوراة) صفة البلد الذي سوف يظهر فيه نبي وسيكون خاتم الأنبياء ، وهذا البلد في وسط أرض العرب به نخل وبين حرتين ، إضافة لذلك فقد كانت يثرب واحة خصيبة التربة ومن أمهات المراكز الزراعية وتتمتع بمركز اقتصادي مرموق في مجالات التجارة والصناعة^(٢).

وأشهر المواطن اليهودية بعد يثرب هي خيبر التي عرفت بأنها ريف الحجاز أو قرية الحجاز^(٣) ، والتي اشتهرت بمياهها ونخيلها وجودة تمرها ،

١- معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٨٢
٢- أحمد بن عبد الله الزغبى ، العنصرية اليهودية ، ج ٢ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، عبدالله عبد العزيز بن إدريس ، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ ، ص ٢٥
٣- الواقدي ، المغازي ، تحقيق ، محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق عماد زكي البارودي ، خيرى سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د.ت) ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .

وكانت تمر منها القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد الشام^(١) . ومن مناطقهم المشهورة أيضاً تيماء التي لم تكن تقل عن سابقاتها خصوبة وقيمة من الناحية الإستراتيجية والأهمية الاقتصادية^(٢) .

ولا توجد إشارة إلى وجود أعداد كبيرة من اليهود في مكة كما كان عليه الحال في يثرب وغيرها من نواحي الجزيرة العربية ، وإلا لكان لهم حي خاص بهم ، وكان لهم معبد يقيمون في صلواتهم ويمارسون فيه طقوسهم الدينية الخاصة^(٣) ، على أن هذا لا يمنع وجود جاليات أجنبية في مكة وبينها أفراد من اليهود ، فقد أشار القرآن الكريم في السور المكية بآيات ممتددة تتحدث عن أهل الكتاب ، منها قوله تعالى : "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين"^(٤) . كما أن أهل مكة أنفسهم كانوا يقصدون خيبر والمدينة ليجلبوا منها حلي آل أبي الحقيق التي كانت نسأوهم وفتياتهم تتحلى بها حين زفافهن... وغير ذلك^(٥) .

ولا يستبعد أن يكون هناك قوم من اليهود بالطائف ولكنهم كانوا قلة ، حيث ذكرهم البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) بقوله^(٦) : "حينما صالح أهل

١ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٥٢١ ، ياقوت ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .
٢ - الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ٦٠ ، محمد حمد السمير التيماني ، تيماء ، ط ١ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١٥ .
٣ - ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ٩٤ .
٤ - سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ . وكذلك قوله تعالى : فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير (١٥) والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد" (سورة الشورى ، الآية ١٤ - ١٥) .
٥ - الواقدي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . يذكر أنه لما تزوج أبو سفيان بن حرب من هند بنت عتبة بن ربيعة ، بعث عتبة بن ربيعة بابنه الوليد إلى بني أبي الحقيق فاستعار حليهم . (ابن سعد ، الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٣٦) .
٦ - البلدان وفتوحها ، ص ٨٦ .

الطائف الرسول ﷺ ، فصالحهم على أن يسلموا ويقرهم على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم، واشترط عليهم أن لا يرابوا ولا يشربوا الخمر، وكان بخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن و يثرب فأقاموا بها للتجارة، فوضعت عليهم الجزية " . وهناك أيضاً تبوك التي كانت من الواحات العامرة التي استوطنها اليهود ، وكان يهود تبوك ينكلون بمن يقيم بين ظهرانهم من العرب ، فلما ظهر الإسلام أخذوا يتآمرون ضدهم مع بني عمومتهم في المستوطنات اليهودية الأخرى ، وقد ظن اليهود أن وجود تبوك على مسافة بعيدة من يثرب وقربها من الحدود البيزنطية سرف يمنع المسلمين من غزوها وتأديبهم ، إلا أن أملهم قد خاب ، حيث طالتهم وتمكنت منهم أيدي المسلمين . وقد كان أيضاً بين أهل مقنا وفدك ووادي القرى قوم من اليهود^(١). وعلى كل حال ، بعد أن نزلت القبائل اليهودية في بلاد الحجاز — كانت في ذلك الوقت (الحجاز) من أكثر بلاد العرب وفرة بالأشجار والمياه والخيرات^(٢) — استقروا على شكل قبائل وعشائر وبطون عديدة ، نذكر منها: بنو ناغصة^(٣) و بنو القصييص كانوا يسكنون في قباء . بنو هذل (بهذل) وبنو عمرو سكنوا مع بعضهم في وادي مهزور^(٤) . بنو جثة وهم يهود مقنا . بنو مرير وبنو معاوية وبنو ماسكة ، استقروا شمالي وادي مهزور. بنو محمم كانت لهم أرض تسمى خنافة مشهورة بكثرة الحراث .

١ - الواقدي ، المغازي ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٩١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ ، أحمد علي المجذوب ، المستوطنات اليهودية ، ص ٦٨٦٥ .

٢ - ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ، ص ٢١٦ ، الحميري ، الروض المغطر ، ص ١٤٧ .

٣ - يذكر أن أصلهم من اليمن ، سكنوا شعب بني حرام . (ابن الضياء ، المرجع نفسه ، ص ٢١٧ ، ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٢٧) .

٤ - ابن هشام ، السيرة ، ج ٤ ، ص ١٩٧ ، ابن سعد ، المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٣٢٣ ، الحنفي ، تاريخ المدينة ، ص ٢٣ ، حمد الجاسر ، خطط المدينة المنورة ، مجلة العرب ، ج ١٢ ، السنة الأولى ، ص ١٠٧٧ .

بنو زعوراء سكنوا منطقة العوالي قرب مشربة أم إبراهيم^(١). يهود الجوانية : سكنوا بمكان شمال يثرب ، قرب جبل أحد ، ولهما أطمان هما صرار والريان^(٢). بنو عكرمة و بنو مراية سكنوا طرف حرة واقم شمالي منازل بني حارثة . بنو ثعلبة كانوا يسكنون قرية زهوة بناحية واحة العريض . بنو عريض استقروا في وادي القرى . بنو قَيْنَقَاع تقع منازلهم عند منتهى جسر بطحان مماليي العالية^(٣)، لم يمارسوا الزراعة كغيرهم من اليهود بل احترفوا التجارة والصياغة ، مما جعلهم أغنى طوائف اليهود بالمدينة^(٤)، أشهر بطونهم : بنو حجر وأهل زهرة^(٥). بنو النَّضِير : استقروا بناحية الغرس وما والاها ، ومقبرة بني خطمة^(٦)، يُنسبون — حسب المصادر العربية — إلى هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام^(٧)، بدليل إرجاع رسول الله ﷺ نسب زوجته صفية إلى هارون النضيري^(٨)، ولكن اليعقوبي

- ١- مشربة أم إبراهيم : سمي المكان بمشربة أم إبراهيم لأن مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قد نزلت فيها وولدت ابنها إبراهيم ، وتعلقت حين ضربه المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة ، فتلك الخشبة اليوم معروفة في المشربة . (ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، ج ١، ص ١١١) .
- ٢- السهمودي ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد الأمين أحمد الجكني ، (د.ط) ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ١، ص ٥٢٧، حمد الجاسر ، المرجع نفسه ، ص ١٠٨٠ .
- ٣- السهمودي ، المصدر نفسه ، ج ١، ص ٥٢٧، ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ١٢٨ ، حمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ، دار الفكر العربي ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٣١٩ .
- ٤- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ١، ص ٣٧٢ . النحلي ، السيرة الحلبية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٤٠هـ ، ج ٢، ص ٤٧٦ ، ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ١٢٨ ، كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط ٥، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص ٤٢٢ .
- ٥- الواقدي ، المغازي ، ج ١، ص ١٦٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤، ص ٤٢٤ ، حسن كاظم الحسيني العاملي ، يهود الجزيرة العربية ، ص ١١٨ ، عبد العزيز العمري ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ، ط ٣، دار اشبيليا ، الرياض ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٣١ .
- ٦- ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢، ص ٥٧ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٤٧ ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط ١، دار صادر ، بيروت ١٣٥٨هـ / ١٩٦٦م ، ج ٣، ص ٢٠٣ .
- ٧- أبو داود ، السنن ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٤، ص ١٦٨ ، ابن طاهر ، البدء والتاريخ ، ج ٤، ص ١٢٩ ، ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٥٧ .
- ٨- الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٥، ص ٧٠٨ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط ١، دار الجيل ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ج ٤، ص ١٨٧٢ ، ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق عادل أحمد الرفاعي ، ط ١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٧، ص ١٨٥ .

(ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)^(١) شذ عن هذا الكلام ، فذكر أن بني النضير هم من قبيلة جذام العربية ، ونسبهم إلى جبل النضير .

— بنو قُرَيْظَةَ : قال اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)^(٢) فيهم : " أنهم نزلوا بجبل في المدينة يقال له قُرَيْظَةَ فنسبوا إليه " . تقع منازلهم شرق المدينة إلى الشمال من بني النضير ، على وادٍ يقال له مهزور عند حرة واقم ، — وهي حرة المدينة الشرقية — وفي موضع يسمى ألهان ^(٣) . ومن بطونهم بنو خناقة^(٤) .

وقام اليهود بمسانمة العرب المقيمين بجوارهم وأحسنوا التعامل معهم أول الأمر ، وامنوا على أنفسهم بالاتفاق مع رؤساء تلك القبائل على دفع إتاوة لهم وعلى تقديم الهدايا لهم لاسترضائهم ، ولكنهم رغم ذلك فقد كانوا يعيشون في أحيائهم مكتئلين ومستقلين ، يخضعون في نظامهم السياسي والاجتماعي لرؤسائهم وسادتهم ، ويدفعون لهم ماهو مفروض عليهم أداؤه في كل سنة ، وهؤلاء السادة هم الذين بنو الآطام والحصون ، وكان أحبارهم^(٥) يتولون الأمور الدينية ، وتنفيذ الأحكام ، والنظر فيما يحدث بين الناس من خصومات ، ويقومون لهم الصلوات وبقية شعائرهم الدينية ، فضلاً عن تعليم الناس في بيوت المدارس^(٦) .

^١ - تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

^٢ - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

^٣ - ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٨ ، حمد الجاسر ، خطط المدينة المنورة ، مجلة العرب ، ج ١٢ ، السنة الأولى ، ص ١٠٧٧ .

^٤ - البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٧ ، ص ٧٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ .

^٥ - عرف رجال الدين اليهود باسم الأخبار ، وهم فئة يهودية أقسمت على نفسها مراعاة النصوص الدينية ، ثم لما تغلبت تعاليم هذه الفئة أصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر ، حيث أصبحت كلمة حبر تعني العالم . (ابن هشام ، السيرة ، ج ٣ ، ص ٤٦-٩٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ، ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٢٠ ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٢٧) .

^٦ - جواد العلي ، المفصل ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ج ٦ ، ص ٥٣٣ ، ياسين غضبان ، مدينة يثرب قبل الإسلام ، ط ١ ، دار البشر ، عمان ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٢٦ - ١٣١ . عبد الباسط البدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج ١ ، ص ٦٠ .

وقد كان لكل قبيلة منهم زعيم ، وإذا صادف أن أحد زعماء العشائر اليهودية كان ذا شخصية قوية استطاع أن ييسط نفوذه على الزعماء الآخرين مدة من الزمن ، فسرعان مايقوم التنافس بين تلك العشائر بغياب الشخصية النقية الطاغية أو ضعفها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى صفة التنافس والتراحم فيما بينهم إلى درجة الخصومة والقتال ، ولا سيما في الفترات التي لا يهددهم فيها عدو خارجي ، فقال تعالى : "كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبأل أمرهم ولهم عذاب أليم"^(١) . ومن صور الصراعات التي كانت تقوم بين عشائريهم ، والجرائم التي تقع ، والتمييز الطبقي في معالجتها ، كان إذا قتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير قُتل به ، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة ودِّي مئة وسق من تمر ، أي لا يقتل به . وكان حيي بن أخطب قد حكم أن للنضري ديتين وللقرظي دية واحدة . كما كان بعض حكامهم وأخبارهم يتحيزون ويحابون ويرتشون ويتساهلون في تطبيق الأحكام على الشريف ، ويتشددون على الوضيع والفقير ، وكان الشريف إذا زنى بالدنيئة رجموها هي ، وحملوا وجه الشريف وحملوه على البعير البعير أو جعلوا وجهه من قبل ذنب البعير ولم يرموه ، وإذا زنى الدنيء بالشريفة رجموه وفعلوا بها ذلك ^(٢) .

أما بالنسبة إلى أبنية اليهود ، فقد كانت في كل تجمع من تجمعاتهم السكنية مقاربة ومتلاصقة ، وكانت على نوعين : منازل وآطام .

فالمنازل ، فكانت مبنية من اللبن أو الحجر أو منهما معاً ، تضم عدداً من الغرف يختلف باختلاف ثراء صاحب البيت وإنفاقه ، وكانت للغرف

^١ - سورة الحشر ، الآية ١٤ .

^٢ - أبو داود ، السنن ، ج٤ ، ص١٦٨ ، الطبري ، تفسير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج٦ ، ص٢٤٢ ، عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج١ ، ص٩٤-٩٥ .

نوافذ خشبية ضيقة لا تخلو من تزيينا أيضاً ، أما جدرانها فقد طليت بالجص من الداخل لتصبح صقيلة وملساء ، وربما علقت عليها بعض المنسوجات التي كانت تحيكوها بعض النسوة^(١)

أما الآطام فهي الحصون والقصور ، وقيل البيوت المربعة المسطحة السقوف ، مبنية من الحجارة^(٢)، ومن أسمائها الأخرى الآجام^(٣) والصياصي^(٤) .

ويعتقد أن الآطام كانت تضم المعابد وبيوت المدراس ، إذ كانت فاخرة الأثاث كثيرة الأدوات ملووة بالأسفار ، يجتمع فيها الزعماء للبحث والمشاورة حيث يقسمون بالكتب المقدسة حين يهيمون بإبرام العقود والاتفاقات^(٥). وقد بلغ عدد آطام اليهود أكثر من سبعين آطماً ، كانت موزعة بين القبائل والبطون اليهودية ، وكان من أشهرها أطم كعب بن الأشرف^(٦) وأطم كعب بن أسد القرظي^(٧).

١- ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، الحلي ، السيرة الحلبية ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ، عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج ١ ، ص ١١٦-١١٧ .

٢- ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ١٩ ، الحنفي ، تاريخ المدينة ، ص ٢٤ .

٣- ياقوت ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، ابن منظور ، المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ١٩ .

٤- قال تعالى : " وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطوها وكان الله على كل شيء قديراً " سورة الأحزاب ، الآية ٢٦ .

٥- ولفنسون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص ١١٦ .

٦- كعب بن الأشرف : وكان عربياً من قبيلة طيء ، أحد بني نيهان بن عمرو بن الغوث بن طيء ، وكانت أمه من بني النضير ، قتلته محمد بن مسلمة الأنصاري عام ٣٣ هـ / ٦٢٣ م . (المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٩٠) .

٧- كعب بن أسد القرظي : صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده . (الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٩٣) .